الأهرام

المصدر: الاهرام

التاريخ : ٤ اغسطس ١٩٩٥

النهر الخالد ماذا نريد منه.. وماذا يريد منا؟

مليارات من المياه المبددة على الهضبة الاستوائية تبحث عمن يصونها

١

من هنا نقول ان النيل نهر يمتد لمسافة ٦٦٥٠ كيلو مترا من بحيرة تنجانيقا فى الهضبة الاستوائية إلى المصبات عند البحر المتوسط . وقد تناولت الدراسات والأرصاد المستفيضة هيدرلوجيا النهر، ويصدق هرست (١٩٥٢) اذ يقول «لايوجد نهر فى العالم تناولته الدراسات والارصاد الدقيقة والمستفيضة مثل نهر النيل». ولكن حوض النهر - النظام البيئى - يغطى حيزا فسيحا من الأرض يقدر بقرابة ثلاثة ملايين كيلو متر مربع ، ويتصل بدول متعددة هى : مصر والسودان واثيوبيا وأريتريا وكينيا وأوغندة وتنزانيا ورواندا وبوروندى وزائير ، ولو اعتبرنا علاقات التاريخ لاضفنا جمهورية افريقيا الوسطى وتشاد . هذا الحوض يشمل حيز التجمع للروافد الرئيسية وروافدها الفرعية ، ويشمل أنماطا بيئية متعددة ومتنوعة من كتل المياه (البحيرات - المستنقعات - القنوات - إلخ). ومن وحدات التضاريس (مرتفعات - هضاب - سهول - وديان - إلخ) ويمتد هذا الحوض عبر ٣٥ درجة عرض (من خط عرض ٣ جنوب خط الاستواء الى خط عرض ٣٢ شمال خط الاستواء) ، أى انه يمتد عبر مناطق مناخية متعددة تمتد من المناخ الاستوائى الرطب الدافىء فى الهضبة الاستوائية ، والمناخ الموسمى فى المرتفعات الاثيوبية، إلى مناطق الصحارى الجافة فى شمال السودان ومصر ، ومناطق من الكساء الخضرى من الغابات الاستوائية الدائمة الخضرة ، الى الغابات الموسمية والنفضية إلى حشائش المناطق الحارة واحراشها ، الى الصحارى الجافة ذات الكساء النباتى القليل ، ومناطق استخدامات الارض والمناطق الجغرافية المتعددة والمتنوعة.

٢

ولكن هذا النهر يختلف عن الانهار جميعا فى تطوره التاريخى . فهو نهر قديم ترجع بداياته إلى اكثر من ستة ملايين سنة ، إذ هو ظاهرة من الظواهر التى تبعت خطى الحركات الأرضية التى أعيد بها تشكيل تخوم الأخدود الإفريقى الكبير ، وهى حركات اتصلت على مدى هذا التاريخ القديم وتحولت بها توجهات روافد نهرية كانت تسب فى الأنهار المتجهة الى المحيط الهندى شرقا أو المحيط الأطلسى غربا إلى روافد تتوجه الى الشمال.

شهد هذا التاريخ الطويل تحولات مناخية ، متوالية ، تتصل بفترات إمتداد الجمد والثلاجات فى الدوائر القطبية ونواصى الجبال والمرتفعات ، وفترات انكماش الجمد وتراجع الدوائر المتجمدة الى خطوط العروض العليا ، وما اتصل بذلك وتزامن معه من تغيرات فى نطاقات المطر نشأ عنها فترات مطيرة تناوبت مع فترات جافة فى الأقاليم الشمالية من القارة الافريقية . صاحب هذه التغيرات المناخية تغيرات فى البحر المتوسط فكانت فترات جفاف غاض فيها البحر وجف قاعه وغطته طبقات الملح، وفترات زادت مياهه وفاضت وملأت خليجا بحريا أصبح فيما بعد ذلك دلتا النهر.

تبسيط هذا التاريخ المعقد ابلغ تعقيد ، هو أن النهر قديم يرجع الى ملايين السنين ولكن النهر الذى نعرفه اليوم صورة حديثة يرجع تاريخه الى ١٠-٢٠ الف سنة . والنهر الذى نعرفه اليوم مركب من مجموعة من المنظومات النهرية استقلت عن بعضها ازمانا واتصلت فى فترات قصيرة ثم انفصلت، ثم عادت للاتصال فكان النهر فى صورته الحديثة التى نعرفها.

مياه الهضبة الاستوائية المجمعة فى الأنهار والبحيرات العديدة تتجمع عبر شلالات مرشيزون وفولا (عند نيمولا) إلى أنهار تصب فى دلتا داخلية لاتزال فى مراحل التطور والنضج هى منطقة مستنقعات السدود بجنوب السودان.

مياه الهضبة الاثيوبية التى تتجمع فى عدة نظم نهرية ، نعرف الآن منها «عطبرة» فى الشمال والأزرق فى الوسط والسوباط فى الجنوب ، كانت تصب فى بحيرة عظيمة الامتداد (اكثر من نصف مليون كيلو متر مربع)، بقيت فى مكانها سهول فيضية ، فسيحة، هى السهول الشرقية للسودان : البطانة والجزيرة والنيل الأبيض والممتدة فيما بين العطيرة والسوباط .

مياه مرتفعات البحر الاحمر ، وكانت فى الزمن القديم اكثر ارتفاعات تتجمع إليها الأمطار الغزيرة فى العصور المطيرة ، وتحملها عدة انهار بقيت مجاريها واضحة المعالم الى الآن وهى وديان الصحراء الشرقية . كذلك كان المناخ فى الجزء الغربى من مصر فى الزمن القديم مطيرا، وكانت المياه تتجمع فى أنهار تصب الى الشمال وقد طمرت مجاريها الرمال ولم نتعرف على مجاريها إلا بمعاونة الوسائل المتطورة من مسوح الاستشعار عن بعد بواسطة الأجهزة «الرادارية» التى تحملها الأقمار الصناعية.

نذكر هنا أن هضبة النوبة الممتدة من شمال العطبرة حتى اسوان كانت حاجزا فيما بين مياه الجنوب فى النظم النهرية والفيضية التى اشرنا الى بعض منها، وانهار الشمال .

يعرف الجيولوجيون أن فى النطاق الشمالى لمصر بقايا دلتا رات من عصور جيولوجية ترجع الى عصر الأوليجوسين (٣٤ - ٢٢ مليون سنة) وما بعده ، تمثلها رواسب الحصى والمدر فى مناطق الفيوم وتخومها ومناطق غرب وشرق الدلتا الحالية.

ثم حدثت تطورات جيولوجية ومناخية أذنت لمياه الجنوب ان تشق طريقها عبر هضبة النوبة ، واتصلت بذلك النظم النهرية التى يتألف منها نهر النيل الحديث على النحو الذى نعرفه الذى يجمع بين موارد المياه الاستوائية والاثيوبية التى يرجع اليها نظام الفيضان الصيفى.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية